مجلة تسليم
Journal Homepage: https://tasleem.alameedcenter.iq
ISSN: 2413-9173 (Print) ISSN 2521-3954 (Online)

تسليم تداوليّ:

التَّمَسُّكُ بِالأَرْضِ وَأَزْمَةُ الهُوِيَّةِ
قِرَاْءَةٌ تَدَاوُلِيَّةٌ فِي رِوَايَةِ "قِنَاعٌ بِلَوْنِ السَّمَاءِ" لِـ بَاسِمِ خَنْدَقْجِيِّ

ملاذ معن علي حرفوش [1]
[1] جامعة اللاذقية/ كُلِّيَّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة/ قسم اللُّغة العربيَّة، سوريا؛
Malazgharfosh86@gmail.com
دكتوراه في اللُّغة العربيَّة / مدرِّس

تاريخ التسلّم	تاريخ القبول	تاريخ النشر
٢٠٢٤/١١/٢٤	٢٠٢٥/١/٢٧	٢٠٢٥/٣/٣١

المجلـد (٢١) العـدد (٣٣)
رَمَضَان ١٤٤٦هـ . آذار ٢٠٢٥ م
DOI: 10.55568/t.v21i33.197-222

CC BY NC

مُلَخَّصُ البحْث:

تُعدّ القراءة التّداوليّة مدخلاً علميّاً فاعلاً ودقيقاً في تحليل الحوارات والنّصوص والخطابات بغية فهم مضمرات القول، وتحديد المعاني الضّمنيّة الواردة في الكلام، والمقاصد التّداوليّة المستنبطة، فيسعى البحث إلى قراءة رواية "قناع بلون السّماء" للكاتب "باسم خندقجي" بوصفها عملاً أدبيّاً عُني بالقضيّة الفلسطينيّة، وأضاء جوانب معتمة فيها، وعزّز مفاهيم معيّنة تجاهها، وأعاد إحياء النّظرة إلى الواقع الفلسطينيّ بمنظور حداثيّ، فالرّواية ليستْ فنّاً أدبيّاً خالصاً هدفه الترفيه أو المتعة الأدبيّة أو الجماليّة فحسب، إنّما تحمل معاني ضمنيّة وأفعالاً تحريضيّة تدعو إلى القيام بعمل ما، أو الإمساك عن القيام بعمل آخر. ويحلّل البحث العمل الأدبيّ وفق مبادئ التّداوليّة الإجرائيّة الكائنة في نظريّتي أفعال الكلام والاستلزام الحواريّ، مراعياً الأبعاد الحواريّة، والشّروط التّواصليّة، فيقرأ جملة من الحوارات التي يرى أنّها تستدعي البحث، ويدأب على تحديد الفعل الكلاميّ الذي يُطلب القيام به، وتحديد المضمرات التّداوليّة التي يتضمّنها القول، وذلك وفق السّياق المحيط بالنّصّ، وصولاً إلى التّأويل اللّغويّ المقصود من البنية الحواريّة وترميزها الكلاميّ.

الكلمات المفتاحيّة: الفعل الكلاميّ، الاستلزام الحواريّ، المضمر، الحوار، التّداوليّة.

Land Grasping and Identity Crisis
(Pragmatic Reading on " A Mask, the Colour of the Sky" by Basem Khandakji)

Malaz Maan Ali Harfoush [1]

1 University of Latakia/ Faculty of Arts and Humanities / Department of Arabic; Syria

Malazgharfosh86@gmail.com

PhD. in Arabic Language/ Lecturer

Received:	Accepted:	Published:
24/11/2024	27/1/2025	31/3/2025

DOI: 10.55568/t.v21i33.197-222 Volume (**21**) Issue (**33**) Ramadhan 1446 AH March 2025 AD

CC BY NC

Abstract:

Pragmatic reading serves as an effective and precise scientific approach for analyzing dialogues, texts, and discourses to uncover implied meanings, identify implicit messages, and deduce pragmatic intentions. This study seeks to examine the novel "A Sky-Colored Mask" by Bassem Khandaqji as a literary work that addresses the Palestinian conflict, sheds light on its obscured aspects, reinforces certain concepts related to it, and revitalizes the perspective on Palestinian reality through a modern lens. Novel is not merely a purely artistic endeavor aimed at entertainment or aesthetic pleasure; rather, it carries implicit meanings and incitements that call for specific actions or refraining from others. The literary work is analyzed based on the principles of procedural pragmatics, particularly the theories of speech acts and conversational implicature, while considering dialogical dimensions and communicative conditions. This study examines a series of dialogues deemed worthy of investigation,

identifies the speech acts intended to be performed, and determines the pragmatic implications embedded in the discourse, all in the context surrounding the text. This leads to a linguistic interpretation of the intended meaning behind the dialogical structure and its verbal encoding.

Keywords: speech act, conversational implicature, implied meaning, dialogue,

pragmatics.

المقدِّمة:

يُقدِّم البحث قراءة تداوليَّة لرواية "قناع بلون السّماء"* للكاتب الفلسطينيِّ "باسم خندقجي"، ويكشف مضمرات القول في الحوارات الواردة، والمعاني الضِّمنيَّة التي يسعى النَّصُّ إلى بلوغها، ويقف التّحليل عند الفعل الكلاميّ والغاية التي يودُّ المتكلِّم الوصول إليها، ويتوخَّى الدِّقَّة في معرفة العمل الذي يُطلَب إنجازه أو الانصراف عنه، وينتهج البحث أدوات النَّظريَّة التَّداوليَّة في التّحليل الدّقيق بناء على سياق الكلام ومقام كلٍّ من المتكلِّم والمتلقِّي في النَّصِّ، وصولاً إلى التّأويل اللُّغويِّ المقصود من الحوارات النَّصِّيَّة وكشف جوهر التَّلفُّظ.

ويعود سبب اختيار الموضوع إلى طبيعة النّظريّة التّداوليّة ودورها الإجرائيّ والعلميّ في معالجة النّصوص والخطابات، فبنت تحليلها على أدوات نظريّة عُنيت باستعمال اللّغة وفق سياق محدّد، ورأت في الأفعال الكلاميَّة أفعالاً إنجازيّة. أمَّا العمل الرّوائيُّ قيد التحليل فنجد أنَّه دعا إلى تمكين مقاصد وتوضيح حقائق مهمَّة ترتبط بالواقع الأليم الذي يمرّ به الفلسطينيُّون، فضلًا عن ما قدَّمته الرّواية من إضاءات شملت جوانب تبيِّن قلق الفلسطينيِّ المتعلِّق بوجوده وكينونته، فاستدعى ذلك البحث والتّحليل.

أهداف البحث:

يُبنى البحث على تحليل الحوار الرّوائيِّ لسانيًّا وفق النَّظريَّة التَّداوليَّة، ويسعى إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية: لماذا يُقال هذا الكلام؟ وما العمل الإنجازيُّ الذي يدعو إليه؟ وما المعاني الضِّمنيَّة التي يُفرزها النَّصُّ بصورة غير مباشرة؟ وبناءً على تلك الأسئلة يرى البحث أنَّ اللُّغة النَّصيَّة في الرِّواية تحثُّ المتلقِّي على الأخذ بأفعال كلاميَّة محدَّدة، وتجعل الكلمة المنطوقة فعلاً منجزًا وفق سياق كلاميٍّ معيَّن، فعملت الدّراسة على استقصاء مواطن الفعل الكلاميِّ والمعاني الضِّمنيَّة الواردة في الحوار بين المتخاطبين، والكشف عن التّأويل الدَّلاليِّ للحوارات القائمة بينهم، وتفسير ما يقتضيه الحوار من معانٍ وأيديولوجيَّات.

* نبذة عن الرّواية: تروي قصّة الشّاب الفلسطينيّ "نور" طالب الآثار الذي يعيش في مخيّم رام الله، يحاول القيام بعمليّة بحث تاريخيّ عن آثار تتعلّق بمريم المجدليّة، ليكتب عنها رواية يشير فيها إلى حقائق يدّعي أنّها أُغفلت، فيحالفه الحظّ عندما يعثر في جيب معطف مستعمل اشتراه على هويّة شابّ إسرائيليّ يُدعى "أور شابيرا"، فينتحل شخصيّته، ويتسلّل إلى القدس، ويشارك في بعثة أجنبيّة للتّنقيب عن آثار يُصادف أنّها قريبة من موقع يزعم أنّه يُخفي أسرار مريم المجدليّة، وتساعده لغته العبريّة المتينة وملامحه الأشكنازيّة على الاختباء خلف شخصيّة "أور"، فيعيش مغامرة خطيرة ومقلقة بغية إرضاء فضوله وبحثه.

تتعدّد أشكال الحوار في الرّواية، فتارة يحاور "نور" صديقه "مراد" الأسير في سجون الاحتلال عبر مقاطع صوتيّة مسجّلة مخبّراً إيّاه عن حياته ومشكلاته وأمنياته وقلقه، وتارة يحاور شخصيّة "أور" الوهميّة، فيتجادل معها. وتدور مجموعة من الأحداث المتنوّعة، وتنتهي الرّواية بتسلّله هارباً حيث جاء.

منهج البحث:

انتهج البحث أدوات مقولات النَّظريَّة اللِّسانيَّة التَّداوليَّة المتمثِّلة في نظريّتي أفعال الكلام والاستلزام الخطابيِّ، وما يترتَّب عليهما من منهجيَّة علميَّة وموضوعيَّة في تحديد الأفعال الكلاميَّة وقوَّتها الإنجازيَّة، وفي تحليل لغة النَّصِّ وحواراته بناءً على السّياقات المقاميَّة للمتكلِّمين.

وجاء في البحث مدخل نظريٌّ يُبرز المفاهيم النَّظريَّة الرَّئيسة للتَّداوليَّة التي أفدنا منها في هذا العمل، وتناول التّطبيق حوارات روائيَّة يرى البحث أنَّها تستدعي التَّقصِّي والتَّحليل، والتّفسير والتّأويل، للكشف عن مضمرات القول والمعاني الضِّمنيَّة، وورد التّحليل في قسمين: القسم الأوَّل: أزمة الهُويَّة الفلسطينيَّة، والقسم الثّاني: أزمة المكان والوجود الإنسانيِّ.

مدخل نظريٌّ:

رصدت النَّظريَّة التَّداوليَّة (Pragmatics Theory) بمقولاتها المتعدِّدة المحادثات العامَّة، ثُمَّ بلغت بثرائها وتنوُّع محاورها حدًّا جعل منها نظريَّة خصبة تخدم حقل تحليل لغة النّصوص والخطابات الأدبيَّة والدِّينيَّة والسِّياسيَّة، واستطاع الدّارسون أن يوضِّحوا مضمر الكلام الذي يسعى المتكلِّم إلى تمكينه لدى المتلقِّي، فدرست التَّداوليَّة اللُّغة قيد الاستعمال، ومنحت السّياق دورًا رئيسًا في التّفسير، وصارت مهمَّة التَّداوليَّة "تأكيد فعل السّياق في العمليَّة التَّواصليَّة، وأهمِّيَّته في الكشف عن المغيَّبات المتضمَّنة داخل الخطاب التي كان لها الأثر الكبير في تحديد معاني النّصوص؛ لذا كان هدفها السّعي لفهم العوامل خارج اللُّغويَّة، لتوظيفها من أجل فهم أعمق للخطاب، انطلاقًا من حاجة الحدث اللُّغويِّ إلى ما يحيط به ويؤثِّر فيه خارج النَّصِّ"[١]، فلن تستوي الدِّراسة التَّداوليَّة بعيداً عن سياقات النَّصِّ التي توجِّه المتلقِّي إلى المعنى المقصود دون سواه.

وعُدَّت نظريَّة أفعال الكلام (Speech Acts Theory) الرّكيزة الأساسيَّة السّابقة للنَّظريَّات التي أُدرجت ضمن حقل التَّداوليَّة، وأسَّست مبدأها على أنَّ الفعل الكلاميَّ – وفقاً لجون أوستين(John Austin)- يُقسم على ثلاثة أنواع: (فعل الكلام، وقوَّة فعل الكلام، ولازم فعل الكلام)[٢]، فرأى أنَّ الكلمة حين تُقال تمثِّل في سياق محدّد فعلاً يُحدِث أثراً أو ردَّة فعل، وأكَّد أوستين أنَّ للكلام عملاً إنجازيًّا يتمثَّل في القيام بفعل أو الإحجام عنه أو التّأثُّر به والتّفكير فيه، فعندما تقول كلمة يعني أنَّك تؤثِّر، وهذه الكلمة ترتكز على شروط سياقيَّة ومقاميَّة تسهم في تعزيز قوَّة الفعل ومقاصده.

---

١ البستاني, بشرى. التداولية في البحث اللغوي والنقدي, ط١ (لندن: سلسلة دراسات محكمة في اللغة والأدب والنقد، نصوص مؤسسة السياب, ٢٠١٢)، ١٥.

٢ أوستين, جون لانكشو. نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام, ترجمة. عبدالقادر قينيني (الدار البيضاء-المغرب: أفريقيا الشرق, ١٩٩١)، ١٣١ نفسه، ص١٦.

أمَّا نظريَّة الاستلزام الحواريِّ (Conversational Implicative Theory) فبرزت على يد بول غرايس (Paul Grice)، وارتبطت بالحوار القائم بين المتخاطبين، لما له من قيمة تواصليَّة تفاعليَّة، وما يترتَّب عليه من معانٍ ضمنيَّة لا يُفصح عنها ظاهر الكلام، وأسَّس مبدأً حواريًّا عُرِف بمبدأ التّعاون (Cooperative Principle) الذي تحكمه قوانين تعبِّر عن افتراضات ذهنيَّة غير مفصح عنها، هي: (الكمّ، والنّوع، والعلاقة، والحال)[٣]، ووجد أنَّ عدم الالتزام بها وخرقها يزيد التّفاعل في الحوار، ويثريه بالمضمرات الكلاميَّة التداوليَّة.

المناقشة:

يوضِّح التّحليل التَّداوليُّ مقاصد لغة النَّصِّ الرِّوائيِّ بدلالته المتنوِّعة والمعاني الضِّمنيَّة الواردة في العمل، ويحدِّد نوع الأفعال الكلاميَّة المستعملة، وما تَطلب إنجازه، فالنَّصُّ الأدبيُّ ذو صبغة وظيفيَّة، و"اللُّغة في التّواصل ليس لها أساسًا وظيفةٌ وصفيَّةٌ، بل لها وظيفةٌ عمليَّةٌ؛ فإذ نستعمل اللُّغة فإنَّنا لا نصف العالم بل نحقِّق أعمالاً هي الأفعال اللُّغويَّة"[٤]، وفي التّحليل الآتي سيوضَّح البحث الأفعال اللُّغويَّة الواردة التي يوجِّهنا النَّصُّ إلى إدراكها من وجهة نظر قائلها، وسيكشف المضمرات الكلاميَّة، بما تُضمره من معانٍ لا يرغب المتكلِّم في كشفها وتقديمها دفعة واحدة، بل يجعل إدراك غايته العميقة أكثر صعوبة.

القسم الأوَّل: أزمة الهُويَّة الفلسطينيَّة.

ينتحل الشّاب الفلسطينيُّ "نور" شخصيَّة "أور" بعد أن عثر على هويَّته في جيب معطفٍ اشتراه من أحد المتاجر، يقول "نور": "الاسم ورقتي الرّابحة التي أرمي بها في أصعب الأوقات وخطَّتي البديلة في اللَّحظة المعقَّدة والحاسمة، رافقني كظلِّي إلى أنْ شعرتُ مرَّةً واحدة بسببك أنتَ أنَّني بعتُ ظلِّي الحقيقيَّ لهويَّة مزوَّرة فغدوتُ

٣ يول, جورج . التداولية (PRAGMATICS)، ترجمة. قصي العتابي (الرباط: الدار العربية للعلوم ناشرون، دار الأمان, ٢٠١٠)، ٦٨.

٤ ريبول, آن و موشلر, جاك. القاموس الموسوعي للتداولية, ترجمة. خالد ميلاد المركز الوطني للترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف عز الدين المجدوب, السحب الثاني (تونس: دار سيناترا، سلسلة اللسان, ٢٠١٠)، ٢٢.

بلا ظلٍّ. كنتُ في ظلِّ أبي بلا صوت، والآن أصبحت بلا ظلٍّ وبلا صوت بعد أن زيّنتُ ملامحي بهويَّة وقلادة نجمة داود"[٥].

يحمل القول (الاسم ورقتي الرّابحة) فعلاً كلاميًّا[٦] * مُنجَزاً على صعيد الحكميَّات؛ إذ تغدو لعبة الأسماء خطًّا فاصلاً بين فوز وخسارة، حياة أو موت، ويصبح اسم "أور" الذي يحمل معنى اسم "نور" سبيلاً آمنًا للعبور من ضفَّة شائكة إلى أخرى أكثر أمنًا وسلامًا.

إنَّه تفصيل صغير، غير أنَّه يضمن نجاح مرور صاحبه حيث يشاء، ويفتح الأبواب الموصدة في وجهه، والاسم يمثِّل صاحبه تمثيلاً وثيقًا، فوجود "أور" في مستوطنة تحتفي به يختلف كليّاً عن وجود "نور" الذي يُطارَد فيها بوصفه مجرماً ودخيلاً، فغدا الاسم بأحرفه الثلاثة ورقة عبور تُظلّل المعتقدات والتّوجهات والمشاعر، الاسم وَحْدَه مفتاح يَعبُر من خلاله مسرى مستحيلاً، فللأسماء في حياة المرء مضاعفات عدّة، تحدِّدها الأفكار المسبقة المرتبطة بالأديان والعادات الاجتماعيَّة، هي جزء من الشَّخصيَّة ومحدَّد لمسارها، وفي هذا النّصّ ينتحل الأضعف اسم الأقوى، أو يستعيره، ورُبَّما يسرقه، وهو يسوِّغ لنفسه سبب السّرقة والانتحال المقصودَينِ، فما غايته إلَّا أن يغدو إنساناً متكاملاً غير مشوَّه الملامح أو منتهك الإنسانيَّة.

ويقول "نور" في الرّواية: "شعرتُ أنَّ هذه الهُويَّة ذات غواية تدفعني نحو الاتِّحاد بها وعدم التّنازل عنها. كنتُ أشعر بتشبُّثها بي .. بشعري الطّويل المجعّد وعينيّ الزّرقاوين ولغتي العبريّة ذات اللّكنة الأشكنازيّة"[٧].

---

٥ خندقجي, باسم . قناع بلون السماء, ط١ (لبنان: دار الآدا, ٢٠٢٣)، ٧٠.

٦ يان هوانغ, معجم أوكسفورد للتداولية (The Oxford Dictionary of Pragmatics)، ترجمة. هشام إبراهيم عبد الله الخليفة, ط١ (بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة, ٢٠٢٠)، ٦١٤.

٧ خندقجي, قناع بلون السماء, ٧٠.

* الفعل الكلاميّ "النّطق بتعبير لغويّ لا تقتصر وظيفته على قول الأشياء فحسب، وإنّما فعل الأشياء أو إنجازها بصورة فعّالة أيضاً".

ينضوي الكلام الذي يعبّر عن غواية الهويّة على حجم الشّعور الإنسانيّ المتدفّق تجاهها، فالهُويَّة تُكسِبُ الإنسان الثّقة أو تُفقده إيَّاها، وبين هويَّة وأخرى تكمن المفارقة، فهناك بون شاسع بين إنسان يتمتَّع بسمات إنسانيَّة طبيعيَّة تمنحه التّقدير والقيمة، وآخر يُفقده محيطه الجغرافيّ أو نَسبه أو انتماؤه أو أيّة سمة محلِّيَّة تلتصق به القيمةَ الوجوديَّة للبشر.

إنَّ الهُويَّة معطى ثقافيٌّ واجتماعيٌّ يتكوَّن عبر ظروف محدَّدة، فهي غير ثابتة، إنَّما تتغيَّر تبعًا للمعطيات المحيطة بها، وللمتغيّرات التّاريخيَّة والسِّياسيَّة التي عصفت بالهُويَّة الفلسطينيَّة، ومزَّقت تماسكها، فشعور "نور" بغواية الهُويَّة ارتبط بقوَّتها ومناعتها وثقلها في الواقع الاجتماعيِّ، فهي تمدُّه بكلِّ ما يحتاج إليه ويسعى إلى امتلاكه بأهون الوسائل وأكثرها أمانًا، في حين تعرِّيه هويَّته الأصليَّة والأصيلة أمام حقائق صادمة ومجحفة، فتهمِّشه، وتُلقي به في غياهب الدونيَّة من دون ذنب، فرغبته صادقة في امتلاك الهُويَّة الأجنبيَّة، غير أنَّها رغبة منبعُها البحث عن حياة يتمتَّع فيها المرء بإنسانيَّته كاملة، بما يضمن له وجودًا بيِّنًا وأصيلاً.

ويسأل "نور" المختبئ خلف "أور" بعد أن مرَّ بأزمة الهُويَّة المزدوجة: "مَن أنا؟ مَن أبي؟ ما هي الأزقّة؟ أين هُويَّتي؟ أين ظلّي؟ أين مرآتي؟ ماذا أفعل هنا؟! [...] المدن نوعان نوعٌ برحم ونوع بلا رحم. نوعٌ ولادة طبيعيَّة ونوع تخصيب اصطناعيٌّ. نوعٌ به حجارة وعبق ونوع به حديد وصدأ. وثمَّة القدس وثمَّة رام الله"[٨].

تغدو الأسئلة الخارجة عن معنى الاستفهام المباشر وطلب الإفهام أسئلةً تداوليَّة ذات غايات وظيفيَّة، فعندما "ننطق بالعبارات الإنشائيَّة فنحن على وجه القطع ننجز أفعالاً بالمعنى الصّحيح لهذا التّعبير"[٩]، فالسّائل يبحث عن هُويَّته المشوبة بهُويَّة الآخر بعد أن التبس عليه الأمر، ووقع في حيرة هيئة

٨ خندقجي, ٧٦.

٩ أوستين, نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام, ٣٣.

الهُويَّـة والبحـث عـن ذاتـه أمـام هـول الواقـع مجـدّدًا، وخالجـه اضطـراب في الشّـعور الإنسـانيِّ، الأمـر الـذي أدَّى إلى التّشـكيك بالنّفـس وضعـف الثّقـة، وإلحـاح الرّغبـة الدّفينـة عـلى اكتشـاف الـذّات اليـوم، والبحـثِ عـن سـبل ثباتهـا وبقائهـا، شـتّت هـذا الشـعورُ المتكلّـمَ، وأربـك هُويَّتـه الأصليَّـة المهـدَّدة بمزالـق الضّيـاع والاضمحـلال في هُويَّـة الآخـر، ومـن الواضـح أنَّـه "لا يمكـن تجنُّـب مواجهـة الـذّات واكتشـاف كيـف وصلنـا إلى هـذا الوضـع، وكيـف يجـب علينـا الآن كشـعب أن نحـاول التقـدُّم لتجـاوزه. إنَّنـا نواجـه تحدِّيًـا خطـيرًا، فاسـتمرار الوضـع الحـاليّ يعنـي أنَّنـا سـنغرق بدرجـة أكـبر في الوحـل، وسـنفقد المزيـد مـن مكتسـباتنا التـي تحقّقـت بمشـقَّة وأنَّنـا سـنقدِّم تضحيـات جديـدة غـير مجديـة"[١٠]، فعـدم الاسـتقرار، وخسـارة المـكان بتاريخـه وثقافتـه وعاداتـه، وتقلُّـص رقعتـه الجغرافيَّـة، والتحكُّـم بـما بقـي منهـا أوقـع المـرء في أزمـة فقـدان الثِّقـة، وجعـل مـن التّفتيـش عـن الـذَّات ضرورة وجوديَّـة ملحَّـة.

أمَّـا ذِكْـر المدينتـين (القـدس ورام الله)، فيُضمـر تداوليًّـا معنـى عميقًـا، ويعـبِّر عـن المسكوت عنـه مـن فـوارق شـتّى بـين نمطـي حيـاة، فهنـاك مدينـة شـبه منسـيَّة أو منكـرة تسـلب أهلهـا أدنـى شـعور بالإنسـانيَّة، وتنتهـك جسـده وروحـه، وتُدنيـه من رتبـة المقيم، وهـو في عقـر داره وموطـن أسـلافه، و"ثمَّـة شـعور لـدى بعـض سـكان الضّفَّـة الغربيَّـة بأنَّهـم مختلفـون عـن نظرائهـم في القطـاع مـن حيـث الامتيـازات التـي يمنحهـا الاسـتعمار. هـذه التّمايـزات المتخيَّلـة الوهميَّـة [...] أنتجـت تمثُّـلات عـن أنـماط ثقافيَّـة واجتماعيَّـة اسـتنبطت لـدى سـاكنيها بهُويَّـات اجتماعيَّـة تميِّزهـم عـن الآخريـن"[١١]، وهنـاك مدينـة أخـرى قابلـة للحيـاة بـكلِّ معطياتهـا تمنـح المـرء هُويَّتـه، وتمـدُّه بالثّقـة اللّازمـة.

---

١٠ سعيد, إدوارد. غزة أريحا سلام أمريكي, تقديم. محمد حسنين هيكل (القاهرة: دار المستقبل العربي, ١٩٩٤)، ٩١.

١١ السقا, أباهر. الشباب الفلسطيني: دراسات عن الهوية والمكان والمشاركة المجتمعية (مركز دراسات التنمية، جامعة بيرزيت، هيئة خدمات الأصدقاء الأمريكية (الكويكرز)، ورقة مفاهيمية مرجعية ورقة مفاهيمية مرجعية لمشروع دراسة عن الهويات الشبابية الفلسطينية، تراتبات متغيرة من تجمعات مغايرة لكل متجانس، منسق الفريق: أيمن عبد المجيد.، ٢٠١٧)، ٢٢.

يدور حوار بين "نور" و"أور":

"– سأفضحك.. سأقول لصاحب المكتبة إنّك محتال، وتنتحل شخصيّةً ليست لك.. شخصيَّة يهوديَّة.

–هل أنت صهيونيّ حقًّا أو يهوديٌّ فحسب؟

– وما الفرق؟

– ثمّة فرق شاسع.. فأنا لا أعتقد أنَّني وأبا إبراهيم لدينا مشكلة في كونك يهوديًّا، بل في كونك صهيونيًّا"[١٢].

إنَّ حوار الطرفين النّقيضين يزداد تفاعلاً بسبب التّعارض القائم بين قصد المحاوِر وفهم المتحاوَر معه، فيخرق الحوارُ مبدأَ التعاون بين الجانبين، ويُجيب بطريقة غير مباشرة على السّؤال (هل أنت صهيونيّ حقّاً أو يهوديّ فحسب؟)، فهو لم يُجب بـ نعم أو لا، لأنَّه يجهل أو يتجاهل الفرق بينهما، وجاء الافتراض المسبق ليدلَّ على وجود مشكلة حاصلة تترتَّب على الصّهيونيَّة لا اليهوديَّة، ويشير إلى قضيَّة مازالت شائكة لدى عدد من العامَّة تتعلَّق بالخلط الكائن بين مصطلحَي الصّهيونيّ واليهوديّ، وما يسبِّبه ذلك الخلط العفويّ أو المقصود من سوء فهم وتقدير لحيثيَّات الأمور ووقائعها، فالصّهيونيَّة "حركة سياسيَّة عدوانيَّة الوسائل والغايات تهدف إلى حشد اليهود في فلسطين وما حولها من البلاد العربيَّة في دولة واحدة، وقد سُمّيت باسم "صهيون" أحد التلال التي تقوم عليها القدس"[١٣]، فاليهوديَّة مصطلح دينيٌّ يمتدُّ جذره إلى حقب بعيدة، أمَّا الصّهيونيَّة فهي مصطلح سياسيٌّ، فضلاً عن كونها "لم تكن إلَّا حركة واحدة من جماعة الحركات الأوربيَّة في القرن التّاسع عشر التي كانت تهدف إلى إعادة الاستيلاء على فلسطين واستعمارها"[١٤]، فارتباطها بالتّاريخ الحديث حقيقة تفرضها معطيات الواقع.

١٢ خندقجي, قناع بلون السماء, ١٠٧.

١٣ أكرم زعيتر, القضية الفلسطينية (مصر: دار المعارف, ١٩٥٥)، ٤٢.

١٤ شولش, الكزاندر. "مقدمة تاريخية: الاهتمام الأوربي بفلسطين فتح الأرض المقدسة، نقلها إلى العربية, ". كامل العسيلي, المجلة الثقافية, العدد١٠٥ , ٧٦ : (٢٠٠٩).

ولا شكَّ أنَّ الحركة الصّهيونيَّة قامتْ على أسس دينيَّة تجمع من خلالها يهود العالم في بقعة واحدة، وتلمّ شتاتهم، غير أنَّ الغاية التي تُضمرها هذه الحركة غاية استيطانيَّة صرفة، فالحجَّة المبنيَّة على ما يُدعى حقّ العودة ليست بأصيلة، ولم يشهد التّاريخ بنكباته أنّ المخطّط الاستعماريّ قائم على التّعايش مع العرب الفلسطينيّين، إنّما هو غزو استعماريّ يستند إلى ادّعاءات دينيَّة، و"تُعدُّ وظيفة اللُّغة من منظور تداوليّ أكثر من وسيلة إيصال المعلومات والمدركات بين المتخاطبين، فهي تدفع المتلقّي إلى التزام سلوك معيَّن تجاه ما يتلفَّظ به المتكلِّم، كما تحدِّد العلاقة القائمة بينهما من خلال السّياق الثّقافيّ والاجتماعيّ المحيط بهما، والقوانين التي تتحكَّم في خطابهما"[١٥]، فالحوار القائم بين الطّرفين ذو طابع وظيفيّ يدعو إلى اتِّخاذ موقف واضح وواقعيّ أمام أمر محدَّد، ويؤكِّد الكلام في الحوار الفرق الواضح بين الحركة الاستيطانيَّة والدّيانة اليهوديَّة، ويقتضي تداوليًّا تحقيق فعل إنجازيٍّ على سبيل التّقرير، يحرِّض على إنهاء هذا الخلط، وعدم الانجراف وراء العاطفة، ووضع حدٍّ للتفرقة الحاصلة بين فئات النّاس، ومعاداة الصّهيونيَّة لا اليهوديَّة، فقد يكون كلُّ صهيونيٍّ يهوديًّا، ولكن العكس ليس صحيحًا أو دقيقًا، وفيه مغالاة واضحة وخلط يعزِّز الأحقاد، ويشوِّه الحقائق.

يقول "نور" في حوار اختلفت فيه وجهات النّظر بينه وبين "أور":

"- قلتُ لك أنا لا أنتحلك .. أنا أُدركك .. أتعلَّمك .. أريد التّعرُّف على كيفيَّة قيامك بالنّظر إلى الواقع وأحواله.

وعلى ماذا عثرتَ أيُّها العبقريُّ؟

عثرتُ على ذاتي منعكسة بمرآتك.

وكيف هذا؟

---

١٥ جودي, حمدي منصور. بين تداولية الأفعال الكلامية والحجاج (مقاربة مفاهيمية)، حوليات المخبر (جامعة محمد خيضر- بسكرة, ٢٠١٣)، ١٠٦.

أنا ولدتُ منك .. من رحم صهيونيَّتك ومن النّكبة التي ألحقتها أنت بي. وبالتّالي أنا جزء منك وأنت جزء منّي "[١٦].

الحوار التّداوليُّ المتخيَّل ينضوي على مضمرات تداوليَّة متعدِّدة، فالجملة الخبريَّة المنفيَّة (لا أنتحلك) فيها ردٌّ على افتراض مسبق يقضي بتهمة تقمُّص شخصيَّة الآخر والذوبان فيها، وهو ردٌّ يرتبط برغبة في خوض تجربة إنسانيَّة وجوديَّة، وتمخَّضت التّجربة عن اكتشاف الذّات وإدراكها، ففي قوله (وُلدتُ من رحم صهيونيّتك) فعل كلاميّ متحقَّق منجَزٌ على سبيل الاعترافيَّات، فالفلسطينيّ يعي حقيقة ارتباطه تاريخيًّا بزمن صلدٍ اقتضى تهميش شعب بأكمله رغبة في إحياء شعب آخر، خلق هذا صراعًا وجوديًّا بينه وبين المستعمر من أجل البقاء، وترعرع في كنف الصّراع شعب غفير، وانبثق منه، فجَرَت تبعات الحرب الوجوديَّة في كيانه جسدًا ووجدانًا، فراح يفتِّش عن ذاته ليثبت أنَّها لم تضمحلّ بعد، وهو يعي أنَّ هُويَّته المشوَّهة فقدت الملامح الأولى، فأخذ ينتحل هُويَّة عدوِّه في مناورة يستعيد من خلالها ما فقده، ويُلحَظ أنَّ "قيمة أيَّة هُويَّة تكمن فيما يمكن أن تخلقه من شعور بالخصوصيَّة، وفيما يمكن أن تقدِّمه من فرض للتّطوُّر لمنتسبي هذه الهُويَّة، ومن دون ذلك، قد تكون الهُويَّة عبئًا على منتسبيها [...] وغالباً ما ترتبط الهُويَّة في هذا المستوى بالوعي بالذّات، لكنَّها في أحيان أخرى قد ترتبط باستحضار الآخر باعتباره نقيضًا للأنا"[١٧]، فالحوار يفضح حقيقة ارتباط الطّرف الأضعف بالأقوى رغمًا عن إرادته، ويكشف السّياق المرجعيّ للكلام حجم الصّراع الذي يعيش فيه الطرفان، وكيف غدا جزءًا من حياتهما، ويؤكِّد حقيقة الاختلاف بين النّقيضين، غير أنَّه أشدُّ وطأة وألمًا على الفلسطينيِّ الذي بات منهوبًا في أرضه، ومستلبًا في بيته، فأخذ كلَّ طرف يسعى إلى إثبات ذاته وارتباطه بالمكان.

١٦ خندقجي, قناع بلون السماء, ١٣٤.

١٧ القلقيلي, عبد الفتاح و أبو غوش, أحمد. "الهوية الوطنية الفلسطينية خصوصية التشكل والإطار الناظم," ١٣ (فلسطين بيت لحم, ٢٠١٢),١٧.

يقول "نور" واصفاً الشابّة الفلسطينيَّة "سماء" التي شاركتْ معهم في بعثة الآثار: "هكذا عرّفتْ عن نفسها واسمها .. سماء إسماعيل من حيفا من هذه البلاد [...] هل هذا صحيح يا مراد؟ سماء إسماعيل مواطنة في دولة إسرائيل أم مقيمة أم ضيفة أم عابرة سبيل؟ المواطنة بحاجة إلى وطن. أليس كذلك؟"[١٨].

إنَّ أسئلة "نور" التي دارت حول انتماء "سماء" هي أسئلة إنكاريَّة تداوليَّة تحثُّ على البحث عن الهُويَّة المقموعة وراء استبداد الكولونياليَّة التي تبذل قصارى جهدها لطمس الهُويَّة العربيَّة في أرض فلسطين، فتمحو انتماء أهلها إلى أصلهم، وتجرِّدهم من جنسيَّتهم الفلسطينيَّة، وتفرض عليهم شروطها ولغتها وأيديولوجيَّتها بشتَّى الطرائق الممنهجة، فمحاولاته الدؤوبة لتمكين ذلك تُواجَه دائمًا بنكران الفلسطينيِّ، وبتمسُّكه بهُويَّته المتشظِّية، فـ "سماء" تؤكِّد تشبُّثها بهُويَّتها عندما تلحّ على ارتباطها بحيفا، متجاهلة تجاهل العارف التّسميات الجديدة المفروضة عليها، بيد أنَّ كلام "نور" القائل (المواطنة بحاجة إلى وطن) فعل كلاميّ على سبيل التقريريَّات يفضح هشاشة الهُويَّة العربيَّة لديها، ويعبِّر عن قناعة المتكلِّم الراسخة وجوديًّا وإنسانيًّا بحقِّه في هذه الغاية وشرعيَّتها غير المتاحة.

إنَّ "الممارسات الاستعماريَّة الاحتلاليَّة في الأراضي المحتلَّة والمتمثِّلة في تقسيم المناطق المختلفة إلى مناطق امتيازات مستعمريَّة قد أسهم في خلق التّراتبات الاجتماعيَّة تبعًا للمناطق المختلفة التي تضع بدورها هُويَّات متخيَّلة لامتيازات لذوات اجتماعيَّة واقتصاديَّة مختلفة"[١٩]، فقد أحدث الفكر الاستعماريُّ فروقات مختلفة وحادَّة بين أفراد المنطقة المُستعمَرة، فأفقد أهلها الهُويَّة الحقيقيَّة، وأضعف شعورهم بالثِّقة تجاهها، وشتَّت انتماءهم، فما اسم "سماء" إلَّا دلالة على الرّغبة العارمة في الانعتاق

١٨ خندقجي, قناع بلون السماء, ١٦٥.

١٩ المالكي, مجدي. التحول في الهوية الفلسطينية وتجلياتها في ضوء تشرذم المجتمع الفلسطيني منذ عام ١٩٤٨، قضية فلسطين ومستقبل المشروع الوطني الفلسطيني، الجزء الأول، في الهوية والمقاومة والقانون الدولي (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، مجموعة مقالات لمؤلفين عدة, ٢٠١٥)، ١٥.

والحرِّيَّة، والارتباط بفضاء مكانيٍّ خصب وواسع أمام ضيق الأرض ومحدوديَّتها، وما شخصيَّتها إلَّا انعكاس لمأزق الهُويَّة الفلسطينيَّة المتحوِّلة إلى هُويَّة مزيَّفة تحت هيكل الكولونياليَّة المسيطرة، وتكشف المضمرات التَّداوليَّة أنَّ تغييب الأرض وحجبها عن أهلها جغرافيًّا وسياسيًّا جعل الوطن مسلوبًا، والمواطن مقيمًا.

القسم الثّاني: أزمة المكان والوجود الإنسانيّ.

يقول "نور" بعد أن انتحل هُويَّة "أور" ودخل إلى إحدى المستوطنات: "أنا الآن في عقر الكيبوتس .. أقصد المستوطنة .. لا لن أُسمِّيه كيبوتس. هذا المسمَّى بحسب رأيك أنت ينتزع الصّفة الكولونياليَّة عن المشروع الصّهيونيِّ، أليس كذلك؟ يا لتحليلاتك يا رجل! .. وأمَّا إطلاق مسمَّى مستوطنة، فإنَّ هذا يدلُّ على الطّابع الاستيطانيِّ الاستعماريِّ للدّولة الصّهيونيَّة. أجل، إنَّها مستوطنة.. مستوطنة.. مستوطنة، إنَّها التفاصيل والمسمَّيات، أليس كذلك؟"[٢٠].

يدلُّ مضمر القول على الحقائق التّاريخيَّة والجغرافيَّة للأرض التي يطمس الآخر معالمها، فتغيير الاسم هو تحريف لحقائق الواقع، ومحاولة حثيثة وناجعة في سبيل إقامة دولة استيطانيَّة بحلَّة جديدة مقنعة ومدروسة، فكلُّ طرف من طرفي الصِّراع يفرض مصطلحاته في المحيط بما يضمن استمراره، ولكنْ ما بين (كيبوتس) و(مستوطنة) اختلاف كبير، ووراء كلِّ تسمية خلفيَّات ومرجعيَّات تحقِّق الحضور أو تلغيه، هو صراع بين الماضي بتاريخه أرضًا وشعبًا وحضارةً وثقافةً، والحاضر الحيُّ المتطفِّل بجبروته ودهائه وطغيانه، ويحمل الحوار الذي يسجِّله "نور" طابعًا تأكيديًّا يصرُّ من خلاله على التّذكير ومحاولة الإقناع بقيمة الأسماء وتغيير المصطلحات التي يفرضها الطّرف الأقوى في المعادلة ضمانًا لتسجيل تاريخ جديد يتلاءم مع توجُّهاته وخططه المستقبليَّة التي تبني الآتي على أنقاض الماضي.

٢٠ خندقجي, قناع بلون السماء, ١٥٦.

ويدور حوار بين النّقيضين "نور" و"أور":

" – كيف سنبلُغ اللجّون؟[٢١] *

بل، قل كيف سنبلغ كيبوتس مجدو؟

بل اللجّون.. إنَّها قرية بأكملها مدفونةٌ أسفل أقدامكم.. يا إلهي، كم أنتم بارعون بإزالة آثار الجريمة يا رجل؟! باللون الأخضر.. بالأشجار.. أينما وُجدت الأشجار في بلادي فتلك نكبتي.

يا لحقدك يا رجل! الأشجار هي الحياة والتجدّد.

بل هي الموت وشواهد القبور" [٢٢].

يتصاعد الحوار بين الطرفين كلَّما ازداد التّعارض والتحدِّي بينهما، ونحا كلٌّ منهما بطريق معاكس؛ إذ ينهمك كلُّ طرف في سعيه إلى إثبات حكمه وفق خلفيَّاته المعرفيَّة، فيردِّد معلوماته التي تنطوي على مقاصد مباشرة وأخرى غير مباشرة، فالإلحاح على حقيقة وجود الأشجار يقتضي الاعتراف بما هو تحتها، والاعترافيَّات الكلاميَّة في قوله (كم أنتم بارعون بإزالة آثار الجريمة...) هي فعلٌ كلاميٌّ يُقِرُّ بدهاء الطّرف الأقوى في هذه المعادلة، فمحو أثر الجريمة يقتضي عدم وجودها أمام العين الشّاهدة على الوقائع الحاضرة، ويدلُّ فعل الكلام على امتثال غير محبَّب إلى الوقائع المفروضة بقوَّة الآخر وهيمنته.

ويزداد التّفاعل الحواريّ عند تصادم الآراء وتناقضها، فقوله: (الأشجار هي الحياة والتّجدّد) تتضمَّن حكميَّات مستمدَّة من حقيقةٍ واقعيَّة صادقة، غير أنَّ المفارقة تكمن في كونها تمثِّل الموت، وتشهد بوجود مجازر سابقة، ومقابر مندثرة

٢١ الخالدي, وليد. كي لا ننسى قرى فلسطين التي دمرتها إسرائيل سنة ١٩٤٨ وأسماء شهدائها, ط٣ (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية, ٢٠٠١)، ٥٦_ ٦٠.

٢٢ خندقجي, قناع بلون السماء, ١٧٧.

* قرية اللجُّون قرية قائمة على تلّ قليل الارتفاع في الطّرف الجنوبيّ الغربيّ من مرج ابن عامر، موزّعة على طرف وادي اللجّون، تابعة لقضاء جنين، احتُلّت في حزيران عام ١٩٤٨ عقب تطهير وادي بيسان، وفي عام ١٩٤٩ أَنشأتْ إسرائيل مستعمرة يوسف كابلان التي سمّيت كيبوتس مغدو.

تمتدُّ على مساحة جغرافيَّة شاسعة، ومنازل كانت مأهولة بأهلها رُدمت، وطُمست ملامحها، لتحيا مدن استيطانيَّة جديدة تشهد بعظمة القويِّ ونفوذه.

استثمرتْ الصهيونيَّة جهدًا جمًّا لتغييب الحقائق التّاريخيَّة، وتزوير الوقائع الأصليَّة، وقد "دأبت الحركة الصّهيونيَّة على تزييف تاريخنا وواقعنا كشعب، على حين كرّسنا حيِّزًا كبيرًا من نضالنا لإزالة المفاهيم الخاطئة عن عدم وجودنا وغياب استقلالنا. لقد اكتسبنا هُويَّة سياسيَّة عصريَّة بفضل كفاحنا الذي هو اليوم أبعد ما يكون عن الاكتمال، وينبغي علينا أن نصعِّد الآن إحساسنا بتاريخنا وماضينا إلى مستوى أكمل وأعمق وأكثر وعيًا، لا أن نفعل العكس"[٢٣]، فالفلسطينيُّ يعي مآرب الصهيونيَّة، ويُدرك مشروعهم الدّاعم لطمس المكان، وتبديد هويَّته، طوَّر ذلك آليَّات الشعب في محاولة إثبات الحقائق، فقوله (هي الموت وشواهد القبور) فعلٌ كلاميٌّ على سبيل الحكميَّات، يعزِّز الشّكَّ في كلِّ ما هو قائم حاليًّا من جهة، ويبثُّ الذّعر ويبعث شعور الارتياب في نفس المتلقِّي، ويحثُّه على نكران زيف الواقع وخداعه للذهن.

وتأكيد الحقائق لم يقف عند أشجار المدن وأريافها بل ارتبط بالأحجار أيضًا، تقول إحدى مندوبات البعثة الأجنبيَّة متسائلة:

" – ماذا عن هذه الحجارة، سيِّد ناتان.. إنَّها تشبه بقايا بيوت، أليس كذلك؟

كاد نور أن يعانقها هاتفاً بامتنانه لها على هذا السؤال الذي أصاب ادِّعاءات ناتان في مقتل، إلَّا أنَّ هذا الأخير ما لبث أن طرد مباغتتها له مجيبًا بثقة:

هذه آثار قديمة يا عزيزتي.. هل نسيتِ أنَّك على أرض التّوراة والعهد القديم؟

قذفته من جديد بتساؤلٍ آخر وقد اعترتها جدِّيَّةٌ صارمة:

وهل نسيتَ أنت أنَّني خبيرة آثاريَّة، وأستطيع معرفة إذا ما كانت هذه الحجارة توراتيَّة أم أنقاض قرية عربيَّة مهجَّرة في حرب استقلالكم.. مع أنَّ سماء كانت قد

٢٣ سعيد, غزة أريحا سلام أمريكي, ٦٣_ ٦٤.

أكَّدت لي ذلك؟"[٢٤].

يخلق الاستفهام الإنكاريُّ إجابات موجَّهة هدفها الإقرار بالحقيقة المطموسة الملامح، غير أنَّ ردَّ المتحاوَر معه يدفع الحوار إلى أفكار يسعى الاستعمار جاهدًا إلى تعزيزها، هي أفكار مسبقة مهيَّأة يدأب على إثباتها بشتَّى المناسبات وبمختلف الوسائل، فقِدَمُ أرض التوراة يعني امتداد جذور معتنقي الكتاب فيها عبر التّاريخ، و"حين نصرِّح بقولٍ ما فإنَّنا نلتزم بصدق المحتوى الخبريِّ للجملة، لكن الالتزام هنا لا يعني ضرورة اعتقادنا بصدق ما قلناه، فضلاً عن أنَّه لا يعني صدق محتواه الخبريّ"[٢٥]، فثقة المتكلِّم وسعيه الحثيث إلى إثبات معتقداته اعتمادًا على معطيات التّاريخ لا يبرهن صدقه، ولا يُثبت أنَّه يؤمن بما يدافع عنه فطرة أو اكتسابًا، غير أنَّ ردَّ الطّرف المتحاوَر معه أخذ الحوار إلى منحى مخالف لما هو متوقَّع، فسلك الحوارُ التفاعليُّ طريقًا معاكسًا ذا طابع صداميّ، حين أكَّد حقيقة كونه على بيّنة بالوقائع الملموسة، ودلَّ المتكلِّم على ذلك في الجملة الآتية: (هل نسيتَ أنَّني خبيرة آثاريَّة)، فعمل الجواب المتهكِّم على نقض كلام الطّرف الثّاني، والتّقليل من صحّة أحكامه، والطّعن في رأيه، وتحديد ماهيَّة الحقبة السّابقة لعهد المستعمر ووجوده الطارئ.

ويحثُّ الحوار غير المباشر المتلقِّي على إحياء الذاكرة، والبحث عن تاريخ المنطقة، واستنطاق الحقائق، وعدم التّسليم بما يتداوله الفكر الكولونياليُّ من تشويش للواقع خدمة لأهدافه، وتمكينًا لوجوده.

إنَّ الحوار بين الطّرفين على أرض واحدة، واختلاف ادِّعاء كلٍّ منهما ما هو إلَّا انعكاس لوجهات النّظر والآراء المتباينة حول قضيَّة واحدة، وأرض مستولى عليها بحجج مسبقة وادِّعاءات ملفَّقة لا تثبت شيئاً البتَّة، صحيح أنَّ التّاريخ يشهد

٢٤ خندقجي, قناع بلون السماء, ٢٠٩.

٢٥ الخليفة, هشام إبراهيم عبد الله .نظرية الفعل الكلامي Speech Act Theory بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي بحث في علم الفعليات, ط١ (الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان, ٢٠٠٧)، ١٨.

بحقيقة أرض التّوراة، لكنّ ذلك لا يُعدُّ مدعاة للخلط بين أثرٍ دخيلٍ يمتدُّ بضعة عقود معدودة، وشعب يعود إلى آلاف السّنين، هو الخلاف على أرض عُدَّت في عهد سالف الذّكر مهد التّوراة، وهي في الوقت نفسه عقر دار العربيّ الفلسطينيِّ الذي طُرد من بيته، وهُجِّر من أرضه، وشُرِّد بأساليب مقصودة وممنهجة، فطُمست هُويَّة أرضه وتغيَّرت ملامحها في الحاضر.

وفي الواقع "إنَّهم حين يتَّجهون إلى فلسطين فإنَّهم لا يعودون، وإنَّما يغتصبون: ليست هي عودة الغائب الذي يثوب، ولكنَّها غزو الأجنبيِّ الدّخيل الذي يعتدي ويسلب، وليست فلسطين أرض الميعاد أو الأجداد في أيِّ معنى، ولكنَّها مجرَّد أرض الرّسالة والعقيدة فقط"[٢٦]، هذا الكلام يفضح النّوايا الحقيقية المتمثِّلة في الاستعمار وفرض السّيطرة، ويرى بعض الباحثين أنَّ هناك "مواقع أخرى في مختلف بطاح المشرق العربيّ كانت ذات أهمِّيَّة روحيَّة تفوق تلك التي يفرضها العدوُّ الصّهيونيُّ على القدس، ومنها على سبيل المثال عَرَق الأمير في شرق الأردن، وجزية الفيلة في صعيد مصر، ومدينة تل المقدم أيضًا في مصر التي عُرفت قديمًا باسم ليونتوبوليس"، لكنَّ الخطَّة الكولونياليَّة تخدم مصالحهم في أرض واحدة ذات مكانة إستراتيجيَّة محدَّدة، فكان الخيار هو فلسطين التي أسهم الوجودُ التّاريخيُّ لليهود على أرضها في انبثاق حجج معيَّنة مازالوا يعتدُّون بها.

الخاتمة:

توصَّل البحث إلى جملة من النتائج، هي:

تؤكِّد الأفعال الكلاميَّة التي جاءت على سبيل الحكميَّات دورَ المصطلحات الحديثة، وترسيخها لمفهومات معاصرة تتلاعب بالتّاريخ، وترسم ملامحه الجديدة، وتكشف تصوُّرات الفكر الكولونياليِّ المزعومة حول إثبات حقِّهم في امتلاك

٢٦ حمدان, جمال. فلسطين أولًا... إسرائيل, جمعها وقدم لها. عبد الحميد صالح حمدان (القاهرة: مكتبة مدبولي, د.ت.)، ٢٥٨.

الأرض أرض فلسطين، وتجاهل الماضي وترسيخ الأفكار الجديدة بالقوَّة، وتشكِّك في مصداقيَّة أقوال المستعمر وأفعاله، وزيف ادِّعاءاته السّاعية إلى بناء الدّولة الجديدة على أنقاض سابقتها.

تفضح التَّعبيرات الكلاميَّة تزعزع الهُويَّة الفلسطينيَّة، وتشتُّتها، وتعدُّدها نتيجة الظّروف العسيرة التي هدَّدت هيئتها وتوجُّهها، فهي واقعة أمام أزمة الاعتراف بالهُويَّة العربيَّة، وقلَّة الثّقة بدورها أمام هول الواقع المحفوف بالاغتراب والتّهجير.

تثبت الأسئلة غير الاستفهاميَّة الخارجة عن معناها إلى معانٍ جديدة أزمةَ إنكار الذّات، وفقدان الثّقة، وتحضّ المرء على المكاشفة الجريئة، والبحث عنها، واكتشافها، وتوصيف شكلها الطارئ، وتحقيق ما تودّه من مكاسب، ووعي الذّات من خلال وعي ذات الآخر المهيمنة التي فرضت نفسها بالقوّة، وتوضيح الإجابات المرتبطة بالحقيقة.

تكشف المضمرات التّداوليَّة في الحوار حقائق مغيَّبة عن أرض فلسطين، وتؤكِّد حقَّ الشّعب الفلسطينيّ بسيادة أرضه واستعادتها، وارتباطه بها تاريخيًّا وجغرافيًّا، وتفضح المؤامرات التي تسعى إلى طمس المعالم الأصليَّة، والبحث عن الحقائق المكتوبة في المصادر التّاريخيَّة وكتب الأصول، وما تُقِرّ به من معطيات تشهد بقدم استمرار الشّعب العربيِّ في أرض فلسطين، في دعوة إلى النّسيان وتجديد الذّكرى وعدم الاستسلام.

تدعو المقاصد التّداوليَّة إلى تصحيح المعلومات المغلوطة المتداولة التي تخلط بين الدّين والقوميَّة، وتحميل المسؤوليَّة الاستعماريَّة على عاتق الصّهيونيَّة والمخطَّطات الكولونياليَّة بعيدًا عن إثارة الأضغان والبغض الدينيِّ، والنّظرة العنصريَّة تجاه دين محدَّد، وتحرِّض على مواجهة الصّهيونيَّة ومقاومتها ومعاداتها بوصفها العدوّ المتربص بفلسطين أرضًا وشعبًا.

المصادر

أوستين، جون لانكشو. نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام. ترجمة عبدالقادر قينيني. الدار البيضاء-المغرب: أفريقيا الشرق، ١٩٩١.

البستاني، بشرى. التداولية في البحث اللغوي والنقدي. ط١. لندن: سلسلة دراسات محكمة في اللغة والأدب والنقد، نصوص مؤسسة السياب، ٢٠١٢.

الخالدي، وليد.، كي لا ننسى قرى فلسطين التي دمرتها إسرائيل سنة ١٩٤٨ وأسماء شهدائها. ط٣. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ٢٠٠١.

الخليفة، هشام إبراهيم عبد الله. نظرية الفعل الكلامي Speech Act Theory بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي بحث في علم الفعليات. ط١. الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ٢٠٠٧.

السقا، أباهر. الشباب الفلسطيني: دراسات عن الهوية والمكان والمشاركة المجتمعية. مركز دراسات التنمية، جامعة بيرزيت، هيئة خدمات الأصدقاء الأمريكية (الكويكرز)، ورقة مفاهيمية مرجعية ورقة مفاهيمية مرجعية لمشروع دراسة عن الهويات الشبابية الفلسطينية، تراتبات متغيرة من تجمعات مغايرة لكل متجانس، منسق الفريق: أيمن عبدالمجيد، ٢٠١٧.

القلقيلي، عبد الفتاح، وأبو غوش، أحمد. "الهوية الوطنية الفلسطينية خصوصية التشكل والإطار الناظم." ١٣. فلسطين بيت لحم، ٢٠١٢.

المالكي، مجدي. التحول في الهوية الفلسطينية وتجلياتها في ضوء تشرذم المجتمع الفلسطيني منذ عام ١٩٤٨، قضية فلسطين ومستقبل المشروع الوطني الفلسطيني، الجزء الأول، في الهوية والمقاومة والقانون الدولي. الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، مجموعة مقالات لمؤلفين عدة، ٢٠١٥.

جودي، حمدي منصور. بين تداولية الأفعال الكلامية والحجاج (مقاربة مفاهيمية). حوليات المخبر. جامعة محمد خيضر- بسكرة، ٢٠١٣.

حمدان، جمال. فلسطين أولاً... إسرائيل. جمعها وقدم لها عبد الحميد صالح حمدان. القاهرة: مكتبة مدبولي، د.ت.

خندقجي، باسم. قناع بلون السماء. ط١. لبنان: دار الآداب، ٢٠٢٣.

ريبول،آن وموشلر، جاك. القاموس الموسوعي للتداولية. ترجمة خالد ميلاد المركز الوطني للترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف عز الدين المجدوب. السحب الثا. تونس: دار سيناترا، سلسلة اللسان، ٢٠١٠.

زعيتر، أكرم. القضية الفلسطينية. مصر: دار المعارف، ١٩٥٥.

سعيد، إدوارد. غزة أريحا سلام أمريكي. تقديم محمد حسنين هيكل. القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٩٤.

شولش، الكزاندر. "مقدمة تاريخية: الاهتمام الأوربي بفلسطين فتح الأرض المقدسة، نقلها إلى العربية." كامل العسيلي. المجلة الثقافية، العدد. (٢٠٠٩). ٧٦

هوانغ، يان. معجم أوكسفورد للتداولية The Oxford Dictionary of) Pragmatics). ترجمة هشام إبراهيم عبد الله الخليفة. ط١. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٢٠.

يول، جورج. التداولية (PRAGMATICS). ترجمة قصي العتابي. الرباط: الدار العربية للعلوم ناشرون، دار الأمان، ٢٠١٠.

References

Al-Bustani, B. (2012). Al-Tadawuliyah fi al-Bahth al-Lughawi wal Naqdi (Pragmatics in Linguistic and Critical Research). 1st ed. Al-Sayyab Foundation Texts, Series of Refereed Studies in Language, Literature, and Criticism.

Al-Khalidi, W. (2001). Kay la Nansa Qura Filastin al-Lati Dammaratha Isra'il Sanat 1948 wa Asma' Shuhada'iha (So We Do Not Forget the Palestinian Villages that Israel Destroyed in 1948 and the Names of Their Martyrs). 3rd ed. Institute for Palestine Studies.

Al-Khalifa, H. I. A. (2007). Nazariyat al-Fi'l al-Kalami Speech Act Theory Bayna Ilm al-Lughah al-Hadith wal Mabahith al-Lughawiyyah fi al-Turath al-Arabi wal Islami: Bahth fi Ilm al-Fi'liyat (Speech Act Theory Between Modern Linguistics and Linguistic Research in the Arab and Islamic Heritage Actology). 1st ed. Egyptian International Publishing Company Longman.

Al-Maliki, M. (2015). Al-Tahawwul fi al-Hawiyah al-Filastiniyah wa Tajalliyatiha fi Daw' Tacharzum al-Mujtama' al-Filastini Mundhu Am 1948, Qadiyat Filastin wa Mustaqbal al-Mashru' al-Watani al-Filastini, al-Juz' al-Awwal, fi al-Hawiyah wal Muqawamah wal Qanun al-Dawli (Transformation in Palestinian Identity and Its Manifestations in Light of the Fragmentation of Palestinian Society Since 1948, The Palestine Issue and the Future of the Palestinian National Project,

Part One, on Identity, Resistance, and International Law). Arab Center for Research and Policy Studies.

Al-Qalqili, A., & Abu Ghosh, A. (2012). Al-Hawiyah al-Wataniyah al-Filastiniyah Khususiyat al-Tashakkul wal Itar al-Nazim (Palestinian National Identity: Specificity of Formation and Regulating Framework). Palestine Bethlehem, 13.

Al-Saqqa, A. (2017). Al-Shabab al-Filastini: Dirasat an al-Hawiyah wal Makan wal Musharakah al-Mujtama'iyah (Palestinian Youth: Studies on Identity, Place, and Community Participation). Development Studies Center, Birzeit University, American Friends Service Committee (Quakers), Conceptual Reference Paper for a Study Project on Palestinian Youth Identities, Changing Hierarchies of Diverse Gatherings for Every Homogeneous Group, Team Coordinator: Ayman Abdul Majid.

Austin, J. L. (1991). Nadhariyat Af'al al-Kalam al-Ammah: Kayf Nunjez al-Ashya' bi al-Kalam (How to Do Things with Words). (A. Qayninni, Trans.). Africa Sharq.

Hamdan, J. (n.d.). Filastin Awalan... Isra'il (Palestine First... Israel). (A. H. S. Hamdan, Comp. & Intro.). Madbouli Library.

Huang, Y. (2020). Mu'jam Oxford lil Tadawuliyah (The Oxford Dictionary of Pragmatics). (H. I. A. Al-Khalifa, Trans.). 1st ed. Dar al-Kitab al-Jadid al-Muttahidah.

Joudi, H. M. (2013). Bayna Tadawuliyat al-Af'al al-Kalamiyah wal Hijaj (Muqarabah Mafahimiyah) (Between the Pragmatics of Speech Acts and Argumentation (A Conceptual Approach)). Hawliyat al-Makbar, Mohammed Khider University-Biskra.

Khandaqji, B. (2023). Qina' Bi Lawn al-Sama' (A Sky-Colored Mask). 1st ed. Dar al-Adab.

Reboul, A., & Moeschler, J. (2010). Al-Qamus al-Mawsu'i lil Tadawuliyah (Encyclopedic Dictionary of Pragmatics). (K. Milad, Trans.; I. Al-Majdoub, Supervising Ed.). National Center for Translation, Dar Sinatra.

Said, E. (1994). Ghazzah Ariha Salam Amriki (Gaza Jericho an American Peace). (M. H. Heikal, Intro.). Dar Al Mustaqbal Al Arabi.

Schulch, A. (2009). Muqaddimah Tarikhiyah: Al-Ihtimam al-Oroubi bi Filastin Fath al-Ard al-Muqaddasah, Naqlaha ila al-Arabiyah (Historical Introduction: European Interest in Palestine, The Conquest of the Holy Land, Translated into Arabic). (K. Al-Aseeli, Trans.). Al-Majallah al-Thaqafiyah, 76.

Yule, G. (2010). Al-Tadawuliyah (PRAGMATICS). (Q. Al-Attabi, Trans.). Arab Scientific Publishers, Dar Al-Aman.

Zaiter, A. (1955). Al-Qadiyah al-Filastiniyah (The Palestinian Issue). Dar al-Ma'arif.